جائزةٌ كبرىٰ... ولكن!!

ولما علم أهل مكة أن الرسول ﷺ وصاحبه أبا بكر قد غادرا مكة جُنّ جنونهم ، واجتمعوا في البيت الحرام ، وتشاوروا ، وتآمروا لإيجاد حلّ ، ثم أعلنوا عن جائزة كبيرة لمن يأتي برأس الرسول حيّاً أو ميتاً[1]!.

وانطلقوا في الشّعاب والأودية يبحثون عنهما ، قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: لما خرج رسول الله وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا علىٰ باب أبي بكر ، فخرجتُ إليهم ، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلتُ: لا أدري والله أين أبي ، قالت: فرفع أبو جهلٍ لعنه الله يده ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلطم خدّي لطمةً ، فطُرح منها قُرطي ، قالت: ثم انصرفوا!![2].

ولما انتهى المشركون إلىٰ فم الغار الذي يجلس فيه الرسول ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه ، تحرّكت العناية الإلهية من أجل حماية روح الوجود صلوات الله عليه:

عن أبي مصعب المكي قال: أدركتُ أنس بن مالك ، وزيد بن أرقم ، والمغيرة بن شعبة ، فسمعتهم يتحدّثون: أن النبي ﷺ ليلة الغار ، أمر الله عز وجل بشجرةٍ فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمر الله العنكبوت فنسَجَتْ في وجه النبي صلوات الله عليه فسترتهُ ، وأمر الله حمامتين وحشيّتين فوقفتا بفم الغار.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ٢/ ٤٨٧.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ١٠٠ ، تاريخ الطبري: ٢/ ٣٧٩.

وأقبل فتيان قريش من كل بطنٍ رجلٌ ، بعصيِّهم وهراويهم وسيوفهم ، حتىٰ إذا كانوا من النبي ﷺ بقدر أربعين ذراعاً ، فجُعل رجلٌ منهم لينظُر في الغار فرأىٰ حمامتين بفم الغار ، فرجع إلىٰ أصحابه فقالوا له: مالَكَ لم تنظر في الغار؟ فقال: رأيتُ حمامتين بفم الغار ، فعلمتُ أنه ليس فيه أحدٌ ، فسمع النبي ﷺ ما قال ، فعرف أن الله عز وجل قد درَأَ عنه بهما ، فدعاهُنّ النبي ﷺ فسَمَتَ[1] عليهنّ ، وفرضن جزاءهُنّ ، وانحدرنَ في الحرم[2].

أجل يا روح الوجود يا محمد:

عناية الله سبحانه حمتْك من كل سوء ، حتى إن المشركين قد خُدعوا بالعنكبوت والحمام!! فسلام عليك يا شفيع المؤمنين يا أبا القاسم.

الله طمـــأنَ بـــالهـــدايـــة عبـــدهُ وعليـه صلّـى حيـن أنجـز وعـدَهُ
المصطفـــىٰ ربّ العبـــاد أعـــدّهُ يـا مـن لـه عـزّ الشفـاعـة وحـدَهُ
وهو المنزّهُ ما له شُفعاءُ

كُـن لي شفيعـاً إذْ يحـاسـب يـائـسٌ وعلـيَّ تشهـدُ بـالـذنـوب مجـالـسٌ
كـلّ القبـور مـن الفنـاء دوارسٌ لي في مديحكَ يا رسول عرائسٌ
تُيّمنَ فيكَ وشاقهنّ جلاءُ

شِعـري بمـدحـكَ لا يـزال مُقـدّمـاً وأنـا بحبّـك مـا حييـتُ مُتيمـاً
بعـرائـس الشّعـر ابتـدأتُ مُسلّمـاً هـنّ الحسـانُ فـإن قبلـتَ تكـرّمـاً
فمهورهنّ شفاعةٌ حسناءُ

مـا زلـتُ في درب المـروءة سـاعيـاً ولمـا تُحـبُّ أظـلّ فيـه مُـراعيـاً
ولمـا تحـضُّ عليـه ظَلْـتُ مـداعيـاً مـا جئـتُ بـابـك مـادحـاً بـل داعيـاً
ومن المديح تضرّعٌ ودعاءُ

* * *

---

(١) التسميت: ذكر الله علىٰ الشيء ، وقيل: الدعاء والبركة.

(٢) طبقات ابن سعد: ١/ ٢٢٩ ، عيون الأثر: ١/ ١٨٢.